الفوائد المهمّة في المسائل الملمّة

نظم

الأستاذ العلاّمة حمدا ولد التاه

حفظه الله

شرح

عبد الله ولد إبراهيم ولد عبدات

دار يوسف بن تاشفين

مكتبة الإمام مالك

بسم الله الرحمن الرحيم

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الناشر

دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك (رضى الله عنهما)

مع العلم بأن كل منشورات اتحاد الناشرين الموريتانيين (سابقا)

هى الآن ملك لدار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك

ولأمينهما العام محمد محمود ولد محمد الأمين

الجمهورية الإسلامية الموريتانية

«كيفة»

تليفون: 002226331035

002226883398

002226732543

002226751255

الإمارات العربية المتحدة

«العين»

تليفون: 0097137657742

00971506735298

00971503343782

فاكس: 0097137655764

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله بكرة وأصيلاً والشكر له على آلائه ونعمه الجليلة والصلاة والسلام على من آتاه الله الوسيلة والفضيلة ورضي الله عن آله الطيبين وعن صحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإنه من المتفق عليه بين علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم أن كل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال سواء أكان من العبادات أم المعاملات أم الجرائم أم الأحوال الشخصية أم من أي نوع من أنواع العقود أو التصرفات إلا وله في الشريعة الإسلامية حكم. وما ذلك إلا لتوفر مصادره وسعتها فمصادره المعتمدة الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

ونظراً إلى أن لكل بلد فقهه تبعاً لبيئته وعاداته وأعرافه فقد ظل اهتمام الشناقطة في هذا البلد الذي سيطرت عليه البداوة بعد اختفاء الدولة المرابطية منصباً على الوقائع التي تمس واقعهم البدوي بل كانوا يذمون الاشتغال بأحكام نادرة الوقوع ولذلك جاءت مؤلفات بعضهم معبرة عن هذه البيئة شكلاً ومضموناً كما في كتاب: «طرد الضوال والهمل» لسيدي عبدالله ولد الحاج إبراهيم المتوفى ١٢٣٣هـ، وكتابي «البادية» و«جمان البادية» للشيخ محمد المامي بن البخاري المتوفى ١٢٨٢هـ، وقد عبر عن هذا الاتجاه بوضوح محمد مولود بن أحمد فال المتوفى ١٣٢٣هـ، في نظمه الكفاف بقوله:

صرفت همتي لصوغ نظمي ... يفيد الأمي وغير الأمي

مبيناً لما به البلوى تعم لأمر الأشياخ بأثرة الأهم
لا ما استبد ببلاد نائية كالجمعات وشراء الأهوية

وفي بداية السبعينات من القرن الماضي أخذت الحياة المدنية تنتشر بكل مظاهرها وبدأ المجتمع يدخل مرحلة جديدة من الانفتاح على العالم الخارجي بعد أن ظلت هذه الرقعة معزولة منذ قرون كثيرة في موقعها الجغرافي وأصبح المجتمع يواجه نازلات طارئة وحادثات مستجدة، ومتلاحقة في واقع حياته العملية.

وقد واكب أستاذنا الجليل حمدا بن التاه هذه الحقبة في كل أبعادها واتجاهاتها حيث استطاع أن يؤلف منظومة من عدة مسائل تلائم العصر وتحل كثيراً من الإشكاليات الفقهية والفكرية والسياسية.

ونظراً لأهمية الموضوعات التي تناولتها المنظومة، وصلتها المباشرة بالواقع العملي المعاش فقد ارتأيت أن أضم جهدي المتواضع إلى جهد أستاذي الجليل المتمثل في وضع شرح على منظومة المستجدات الفقهية سميته «**القواعد المهمة في المسائل الملمة**» معتمداً في ذلك المنهج التالي:

١ ـ شرح المصطلحات الفقهية والأصولية والعلمية.

٢ ـ توثيق وتأصيل كل النقول والمعلومات التي أوردها الناظم سواء عزاها أو تركها هملاً.

٣ ـ جلبنا النصوص المناسبة لكل مسألة بشكل مستفيض لتكتمل الفائدة للقارىء العادي ويجد المتخصص ما يروي غلته مع التنبيه على الشبه المثارة حول بعض المسائل والرد عليها.

٤ ـ التعريف بالأعلام الواردة في النص.

٥ ـ التعريف بالكتب الواردة في النص.

والله العلي القدير أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع به إنه سميع مجيب.

عبدالله ولد إبراهيم
انواكشوط (البقيع)
٢٠٠٥/٠٢/٢٠م

التعريف بالناظم

مولده:

الشيخ الأستاذ العلامة حمدا بن سيدي بن التاه من مواليد ١٩٣٣م بضواحي المذرذرة (ولاية اترارزه).

دراسته:

درس العلوم الشرعية والعربية في وقت مبكر في محظرة الأسرة: أهل أحمد بن العاقل كما تلقى تدريبات تربوية ومنهجية في تونس.

الوظائف:

عمل موظفاً للدولة في الفترة ما بين (١٩٥٧ ـ ١٩٨٨) وقد شغل خلال هذه الفترة الوظائف التالية:

* أستاذ علوم إسلامية وعربية.
* مدير التوجيه الإسلامي.
* وزير الشؤون الإسلامية.
* مستشار شرعي لبنك البركة الإسلامي الموريتاني.
* عضو المجلس الإسلامي الأعلى.

وظائف وأنشطة متعددة:

* أمين عام رابطة علماء موريتانيا.
* رئيس جمعية مكافحة السيدا.
* نائب رئيس ترقية الأسرة.
* خبير معتمد لدى الوكالة الألمانية الموريتانية.
* مستشار شرعي لدى شركة التأمين الإسلامي.
* خبير معتمد لدى صندوق الأمم المتحدة للسكان.
* باحث ومحاضر في التوفيق بين الأصالة والحداثة في مختلف قطاعات الدولة (عدالة، شؤون إجتماعية وثقافية).

الإنتاج والمؤلفات:

ابتكر طريقة جديدة للتأليف تقوم على أساس جدولة العلوم بطريقة مبسطة وواضحة منها:

* جدولة الفقه المالكي.
* جدولة المنطق.
* جدولة علم البلاغة والأصول.
* جدولة ألفية ابن مالك.
* تلخيص الجزء الأول والثاني من موافقات الشاطبي.
* نظم في المساجد.
* منظومة المستجدات الفقهية.
* ديوان أدبي متنوع.
* منظومات في النقد الاجتماعي والتوجيه منها: (الثقلاء، مؤتمر الأبالسة).

الامتيازات:

حاصل على وسام الكفاءة الفكرية من جلالة الملك محمد السادس.
حاصل على جائزة تقديرية وامتياز من صندوق الأمم المتحدة للسكان.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على نبيه الكريم

عونك يا معين وبك نستعين

الحمد لله القديم الباقي ... من علمه يحيط بالآفاق
من أرسل الرسل إلى الأنام ... للبت في مسائل الأحكام
وجعل الخاتمة الأمينا ... أفضل خلق الله أجمعينا

(الحمد لله) الحمد في اللغة: الوصف الجميل على جهة التعظيم سواء كان من قبيل الكمال أو من قبيل الإحسان، وهذان السببان واردان في حمد الله عز وجل فهو كامل تفرد بالكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وهو محسن على جميع المخلوقات خلق الإنسان ولم يكن شيئاً وجعل له السمع والبصر والفؤاد ورزقه من حيث لا يشعر وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

والحمد اصطلاحاً: فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً سواء كان ذلك من ناحية اللسان كالثناء أو من ناحية الفعل كالعبارة. فعبادة الله بإخلاص تدل على تعظيم المعبود وهنا يلتقي الحمد اصطلاحاً مع الشكر لغة وفي ذلك يقول الشاعر:

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وقد جعل الطبري الحمد والشكر بمعنى واحد فقال: «الحمد: الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما يرى من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعدها غيره». ثم أخرج بسنده أن النبي ﷺ قال: «**إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك**».

وقال الطبري: «وروي عن ابن عباس أنه قال: الحمد كلمة كل شاكر»[1].

وقد ابتدأ الناظم بالحمد اقتداء بكتاب الله وعملاً بمقتضى قوله ﷺ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجذم**»[2].

قال العلماء: فيستحب البداءة بالحمد لله لكل مصنف ودارس ومدرس وكل خطيب وخاطب وبين يدي سائر الأمور المهمة»[3]. (القديم) والقدم: عدم الأولية للوجود (باق) والبقاء: عدم انتهاء الوجود[4]. (من علمه يحيط بالآفاق): النواحي الواحد أفق[5]. أي أنه عليم بعلم وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات وهو من صفاته الذاتية وعلمه أزلي بأزليته وكذلك جميع صفاته فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق وعلم جميع أحوال خلقه:

[وعلمه بما بدا وما خفي أحاط علماً بالجلي وبالخفي][6]

---

(١) الشيخ محمد الشيباني، تبيين المسالك شرح تدريب السالك (٥٢/١ ـ ٥٣).

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وابن عوانة والدارقطني وابن الحاجب، والبيهقي من حديث أبي هريرة واختلف في وصله وإرساله فرجح النسائي والدارقطني الإرسال. انظر: محمد بن علي الشوكاني: «نيل الأوطار» (١٣/١ ـ ١٤).

(٣) النووي، الأذكار، ص:١٠٣.

(٤) الشيخ محمد الحسن بن أحمد الخديم، مرام المتجدي (١٧/١).

(٥) المختار الصحاح مادة (الالتزام ف ق).

(٦) الشيخ حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح الوصول إلى علم الأصول في التوحيد (١٨٢/١).

(ومن أرسل الرسل) جمع رسول بمعنى مرسل أي مبعوث بإبلاغ شيء والمراد هنا من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه، وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[1].

(إلى الأنام) أي الخلق (للبت) أي الحكم (في مسائل الأحكام) والمراد هنا الأوامر والنواهي قال في الإضاءة:

وبعثة الرسل إلينا جائزة ... في حقه وكل خير حائزة
كي يبلغونا أمره ونهيه ... فمن أجابهم غدا ذا نهيه[2]

(وجعل الخاتمة) للرسل (الأمينا) سماه بها قومه في الجاهلية. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[3]. ولقوله ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها لولا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم الله بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**»[4]. (أفضل خلق الله أجمعينا) لقوله ﷺ كما في صحيح مسلم: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**». قال في الإضاءة:

وانعقد الإجماع أن المصطفى ... أفضل خلق الله والخلف انتفى
وما نحى الكشاف في التكوير ... خلاف إجماع ذوي التنوير[5]
فاحذر لغير منعه سماعه ... واتبع السنة والجماعة[6]

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٢.
(٢) أحمد المقري على الإضاءة، ص: ٥٥ وقوله: ذا نهيه أي صاحب عقل.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.
(٤) أخرجه الطيالسي ورواه البخاري ومسلم والترمذي بنحوه، انظر: مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني ٣/١٠٠).
(٥) قوله في التكوير: أي سورة التكوير من أن جبريل عليه السلام أفضل من محمد ﷺ.
(٦) أحمد المقري على الإضاءة (٩٤).

والعلما رفعهم مكانه كلفهم أن يحفظوا الأمانة
واليوم لما أن بدت كلاها ورامها من لم يكن رماها
فجلهم مال للانعزال تورعاً من هذه الأحوال
وبعضهم مال للاجتهاد مع انقطاعه بكل وادي
فضاعت الأحكام بين ذين وظهر الجهل على وجهين

(والعلما) جمع عالم والعالم إنما يطلق بلا قيد على من يعلم العلوم الشرعية الفقه والحديث والتفسير ولا بد في إطلاقه عليه أن يعلم من كل باب ما يهتدي به للباقي ولله در الشافعي في قوله:

لن يبلغ العلم جميعاً أحد لا ولو حاوله ألف سنة
إنما العلم عميق بحره فخذوا من كل شيء أحسنه[1]

ومنهم من جعل العالم في عرفهم المجتهد ـ ولو في المذهب ـ كابن رشد[2].

ولا يقال عالم حقيقة إلا إذا كان عاملاً فغير الجاري على مقتضى علمه هو والجاهل سواء.

وإذا الفتى قد نال علماً ثم لم يعمل به فكأنه لم يعلم[3]

ويقول آخر:

العلم لا يحصل إلا إذا عملت فافهم كلام العبيد
لو كان في العلم صلاح الفتى لكان إبليس نظير الجنيد[4]

وعليه فإن غاية العلم العمل لأنه ثمرته وفائدة العمر وزاد الآخرة فمن ظفر به سعد ومن فاته خسر.

---

(١) ميارة على المرشد المعين (٤/١).
(٢) الشيخ محمد الحسن بن أحمد الخديم، مرام المجتدي (٣٧٢/١).
(٣) ميارة على المرشد المعين (٤/١).
(٤) الشيخ أحمد بن البشير، مفيد العباد، ص: ٣٠.

قال القرافي: «من عمل بما علم فقد أطاع الله طاعتين ومن لم يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين ومن علم ولم يعمل فقد أطاع الله سبحانه طاعة وعصاه معصية»[1].

(رفعهم مكانه) قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2]. يرفع بكسر العين لالتقاء الساكنين وروي بالرفع. قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم. ورفعة الدرجات تدل على الفضل إذ المراد به كثرة الثواب وبها ترفع الدرجات ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة. قال ابن عباس: درجات العلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام. وفي صحيح مسلم عن نافع بن عبد الحارث الخزاعي وكان عامل عمر على مكة ـ أنه لقيه بعسفان فقال له: من استخلفت؟ قال استخلفت ابن أبزي مولى لنا فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين**» ولم يكن من فضيلة العلم إلا آية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾[3] فبدأ الله تعالى بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأهل العلم[4]. (كلفهم أن يحفظوا الأمانة) أي أمانة العلم فعلى العلماء أداء هذه الأمانة. روى ابن عبدالبر بسنده إلى معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**العالم أمين الله في الأرض**»[5] وذلك لقيامه في الأمة مقام النبي ﷺ. والقيام مقام النبي ﷺ يكون بجملة أمور: منها الوراثة في علم الشريعة بوجه عام ومنها إبلاغه للناس وتعليمها للجاهل بها والإنذار بها كذلك ومنها بذل الوسع في استنباط الأحكام في مواطن الاستنباط المعروفة فكل مرتبة من هذه المراتب أعلى مما قبلها[6]. والحاصل أن الأمانة

---

(١) المصدر السابق، ص: ٢٩.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٤) الخضر، كوثر المعاني الدراري (٣/٧ ـ ٨).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/٦١ ـ ٦٢).

(٦) حاشية عبدالله دراز على موافقات الشاطبي (٤/٢٤٤).

تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور[1].

(واليوم لما أن بدت كلاها) أي ظهرت (ورامها) أي طلبها (من لم يكن رماها) أي طلبها (من لم يكن رماها) أي علمها كما قال القائل:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

(فجلهم مال للانعزال) أي العزلة. وقد اختلف في أصلها. فالعزلة عن الفتنة ممدوحة إلا لقادر على إزالتها فتجب الخلطة عيناً أو كفاية بحسب الحال والإمكان واختلف فيها عند عدم الفتنة فقال الجمهور بتفضيل الصحبة واختار آخرون العزلة. وقد تجب العزلة لفقيه لا يسلم دينه بالصحبة[2].

(تورعا من هذه الأحوال) أي المسائل المحدثة. والورع: هو ترك الشبهات خشية الوقوع في الحرام. لقوله ﷺ: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه**»[3]. وهو مندوب إليه ومنه الخروج على خلاف العلماء بحسب الإمكان[4].

(وبعضهم مال للاجتهاد) وهو في اللغة استفراغ الوسع في تحصيل أمر من الأمور مستلزم للكلفة والمشقة. وأما في اصطلاح الأصوليين فهو استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي. فقولهم استفراغ الوسع معناه بذل تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه. أو هو استفراغ الجهد وبذل غاية الوسع إما في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وإما في تطبيقها على الوقائع[5].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٣/١٤).
(٢) الشيخ محمد الخضر، كوثر المعاني الدراري (٦/٢ ـ ٧).
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) القرافي، الفروق (٢١٠/٤).
(٥) نظم بوطليحية، تحقيق ودراسة يحيى بن البراء، ص:٦٦.

(مع انقطاعه بكل وادي) حيث منعت طائفة كبيرة الاجتهاد وجزمت بانقطاعه مثل محمد النابغة الغلاوي القائل:

والاجتهاد في بلاد المغرب طارت به في الجو عنقاً مغرب[1]

كما نص على هذه الدعوى حاكياً إجماعهم عليها صاحب مراقي السعود[2] في قوله:

---

(١) كثيرة هي النصوص التي وردت فيها تسمية موريتانيا الحالية ببلاد المغرب الأقصى، من ذلك على سبيل المثال فتوى محمد بن أبي بكر الهاشم الغلاوي (المتوفى ١٠٩٨هـ، ١٦٨٦م) في شأن حركة الإمام ناصر الدين صاحب فتوح الممالك السودانية وحرب شربيه والتي بدأها بقوله: «ظهر في الرابع والثمانين بعد الألف رجل من طلبة البادية قريباً من منتهى الإسلام بالمغرب الأقصى» ومن ذلك أيضاً قولة النابغة الغلاوي (المتوفى ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩م) في نظمه: «العدة بنفي الردة» الذي يقول فيه:

وافى ختامه أذان المغرب بقصر ولاة من أرض المغرب

ويقول التجاني بن بابه بن أحمد بيبه العلوي (المتوفى ١٣٢٧هـ ١٩٩٩م) في نظمه الطهارة:

(هذا وقد شاع بأقصى المغرب ترك الوضوء لا لخوف العطب)

ويطلق اسم المغرب في الماضي ويراد به كل البلاد الواقعة غرب مصر والتي تضم جزءاً من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب والأندلس. انظر: ملكية الأرض في موريتانيا، يحيى بن البراء، ص: ٤٢. وقوله طارت به في الجو عنقا مغرب: هي طائر مجهول الشكل، وقيل أسطوري لم يوجد. وقيل العنقاء المغرب طائر ضخم ليس بالعقاب يقال إنه لا يرى إلا في الدهور. ثم كثير ذلك حتى سموا الداهية عنقاء مغرباً. قال أبو عبيد من أمثال العرب: طارت بهم العنقاء المغرب ويقال ألوت بهم العنقاء المغرب وهذا المعنى يضرب في الأخبار عن هلاك الشيء وبطلانه. وهذا المعنى الذي أشار إليه الناظم في البيت نص عليه خليل في التوضيح فقال: «والاجتهاد عزيز الوجود في زماننا وقد شهد المازري بانتفائه ببلاد المغرب في زمانه فكيف زماننا ومواد الاجتهاد في زماننا لو رأى الله بنا الهداية. (تمهدت) لأن الأحاديث والتفاسير قد دونت وكان الرجل يرتحل في طلب الحديث الواحد لكن لا بد من قبض العلم على ما أخبر به عليه الصلاة والسلام» اهـ. بوطليحية، تحقيق ودراسة يحيى بن البراء، ص: ١٣٧.

(٢) سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم بن الإمام العلوي، ولد سنة ١١٥٢هـ ودرس على ابن بونه الجكني ثم سافر في الحج وأخذ عن محمد بن الحسن البناني محشي الزرقاني وهو أحد علماء البلد الذين انتشر العلم بهم له عدة مؤلفات منها بالإضافة إلى الكتاب المشار إليه هنا «غرة الصباح في اصطلاح البخاري» ونظم مختصر في علم الحديث، و«طرد الضوال والهمل» ونظم الخصال المكفرة للذنوب» توفى سنة ١٢٣٣هـ.

والمجمع اليوم عليه الأربعه وقفو غيرها الجميع منعه
حتى يجيء الفاطم المجدد دين الهدى لأنه مجتهد[1]

ومراده بالفاطمي المهدي لأنه شريف. وقوله: (حتى يجيء) حرف غاية منع تقليد أحد غير الأربعة المذكورة في قوله: (وقفو غيرها الجميع منعه) وهذا صريح في أنهم حاكمون على الله القدير بأنه لا يخلق مجتهداً قبل وجود المهدي المنتظر وهذا الذي قاله مراقي السعود هو المقرر في كتب المتأخرين من الأصوليين من أهل المذاهب المدونة.

ولا شك أنك إن لم يعمك التعصب المذهبي تقطع أنه لا مستند له وهذا الذي ذكره صاحب مراقي السعود قد صرح بما يناقضه في قوله قبله:

والأرض لا عن قائم مجتهد تخلو إلى تزلزل القواعد

وهذا النقيض الأخير هو الصريح الموافق للحق لأن النبي ﷺ قد ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله**...» الحديث. وهو حديث مشهور متفق عليه لا نزاع في صحته. فدعوى أن الأرض لم يبق فيها مجتهد البتة وأن ذلك مستمر إلى ظهور المهدي المنتظر مناقضة لهذا الحديث الثابت ثبوتاً لا مطعن فيه[2].

وقد قرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في هذا الموضوع ما يلي:

١ ـ إن حاجة العصر إلى الاجتهاد حاجة أكيدة لما يعرض من قضايا لم تعرض لمن تقدم عصرنا وكذلك ما سيحدث من قضايا جديدة في المستقبل فقد أقر النبي ﷺ معاذ بن جبل على الاجتهاد حين لا يجد نصاً من كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ وذلك حين قال معاذ: (اجتهد رأيي ولا آلو) وحينئذ تحفظ للإسلام جدته وصلاحيته للعصور كلها إذ تحل

---

(١) انظر: مراقي السعود مع نشر البنود (٢٣٢٢).

(٢) عبدالله بن محمد بابا الشنقيطي، عقود الجمان من أضواء البيان (١٨٩/٢ ـ ١٩٠).

المشكلات في المعاملات ونظم الاستثمار الحديثة وسواها من المشكلات الاجتماعية. وحبذا لو أقيم مركز يجمع ما يصدر عن المجامع والمؤتمرات والندوات لينتفع بذلك وتزود به كليات الشريعة والدراسات العليا الإسلامية وبذلك يشع الإسلام وفي ذلك ضمان لحياة مستقيمة صالحة.

٢ ـ أن يكون الاجتهاد جماعياً بصدوره عن مجمع فقهي يمثل فيه علماء العالم الإسلامي وأن الاجتهاد الجماعي هو ما كان عليه الأمر في عصور الخلفاء الراشدين كما أفاده الشاطبي في الموافقات من أن عمر بن الخطاب وعامة خيار الصحابة قد كانت ترد عليهم المسائل وهم خير قرن وكانوا يجمعون أهل الحل والعقد من الصحابة ويتباحثون ثم يفتون.

وسار التابعون على غرار ذلك وكان المرجع في الفتاوى إلى الفقهاء السبعة[1] كما أفاده الحافظ بن حجر في التهذيب ذكر أنهم إذا جاءتهم المسألة دخلوا فيها جميعاً ولا يقضي القاضي حتى يرفع إليهم وينظروا فيها.

٣ ـ توافر شروط الاجتهاد المطلوبة في المجتهدين لأنه لا يأتي اجتهاد بدون وسائله حتى لا تتعثر الأفكار وتحيد عن أمر الله تعالى إذ لا يمكن فهم مقاصد الشرع في الكتاب الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام إلا بها.

٤ ـ الاسترشاد بما للسلف حتى يقع الاجتهاد على الوجه الصحيح فلا يسلك إليه حديثاً إلا بعد معرفة ما سبق للسلف في كل شأن والاستعانة بما قدمه الأئمة المقتدى بهم وإلا اختلفت السبل فإن في كتب الفقه الإسلامي المستنبط من الكتاب والسنة أكبر عون على ما يعرض من المشكلات إلحاقاً لها بنظائرها.

---

(١) وهم المشار إليهم في قول الناظم:

ألا كل من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيد الله عروة قاسماً ... سعيد أبا بكر سليمان خارجه

٥ ـ أن تراعى قاعدة أنه (لا اجتهاد في مورد النص) وذلك حيث النص قطعي الثبوت والدلالة وإلا انهدمت أسس الشريعة[١].

تتمة:

قال ابن القصار: يجب على العوام تقليد المجتهدين في الأحكام ويجب عليهم الاجتهاد في أعيان المجتهدين كما يجب على المجتهدين الاجتهاد في أعيان الأدلة وهو قول جمهور العلماء[٢] (فضاعت الأحكام) جمع حكم وهو في اصطلاح الأصوليين: خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً أو وضعاً. وأما في اصطلاح الفقهاء فهو الأثر الذي يقتضيه خطاب الشارع في الفعل كالوجوب والحرمة والإباحة[٣]. (بين ذين) أي بين عزلة معظم العلماء عن واقع العصر وما فيه من مستجدات ذات أثر على الفتوى. ودعوى القلة الباقية بلوغ درجات الاجتهاد (فظهر الجهل على وجهين) لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

وقد بدت في زمني مسائل ضنت بها الكتب وضل الجاهل
فلم أزل أبحث في طياتها وملل النفوس من آفاتها
حتى وجدت بعضها عيانا فقمت معلنا به إعلانا

(وقد بدت في زمني مسائل) جمع مسألة وهي في الاصطلاح مطلوب خبري يبرهن عليه في ذلك العلم ولا تكون المسألة إلا كسبية أي مكتسبة من الدليل ولذلك لا تعد ضروريات العلوم من مسائله نحو: الصلوات الخمس فرض على المكلف والحج فرض على المستطيع والصوم فرض على البالغ القادر عليه لأن العلم بهذه ضروري ليس مأخوذاً باجتهاد الأئمة[٤].

---

(١) انظر: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي من دورته الأولى لعام ١٣٨٩حتى الدورة الثامنة عام ١٤٠٥هـ الموافق ١٩ يناير ١٩٨٥.

(٢) القرافي، الذخيرة (١/١٤٠).

(٣) عبدالوهاب خلاف: علم أصول الفقه، ص: ١٠٠.

(٤) النفراوي، الفواكه الدواني (١/٥).

والمراد هنا الواقعة الجديدة التي تتطلب حكماً شرعياً ليس فيه نص من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا فتوى سابقة. وفي هذا السياق يقول باب ولد أحمد بيبه:

وإذا المسائل أحجمت وتمنعت ... وأبت مشاكلها على الحذاق
أعملت سيف الفكر نحو عويصها ... فحنت علي خواضع الأعناق
فتبوح لي بسرائر مكتومة ... حتى عن الأسطار والأوراق[1]

وقوله: ضنت بها الكتب: جمع كتاب أي بخلت بها على غير مطالعها.

والكتاب في اللغة مصدر يقال كتب يكتب كتاباً وكتابة ثم سمي به المكتوب[2]. ومادة كتب: دالة على الجمع والضم ومنها الكتيبة والكتابة، استعملوا ذلك فيما يجمع أشياء من الأبواب والفصول الجامعة للمسائل، والضم فيه بالنسبة إلى المكتوب من الحروف حقيقة وبالنسبة إلى المعاني المرادة منها مجاز[3].

وأما في الاصطلاح فيطلق على:

١ ـ نشرة أدبية غير دورية تشتمل على ٤٩ صفحة فأكثر خلاف الغلاف (مؤتمر اليونسكو لسنة ١٩٥٠م).

٢ ـ مجموعة من الصحف من الورق أو غيره عليها رموز مطبوعة أو مخطوطة يمكن بها قراءتها بضم بعضها إلى بعض بحيث وحدة متكاملة[4].

(وضل) عن معرفة حكمها (الجاهل) وهو من يتصور الشيء على خلاف ما هو به، (فلم أزل أبحث في طياتها وملل النفوس من آفاتها) ويطلق البحث في الاصطلاح الإسلامي على كل دراسة موضوعية تبين الأحكام التي تتصل بجانب من جوانب الحياة بياناً واضحاً أو تعالج مشكلة ـ

---

(١) الخليل النحوي، المنارة والرباط، ص: ٢٣٣.
(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/١٤٠).
(٣) ابن حجر، فتح الباري (١/٤٦).
(٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص: ٣٠٤.

اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ـ من خلال قيم الإسلام وأحكامه ـ تستند إلى فهم سديد وفحص عميق وإدراك صحيح ومنهج سليم[1]. (حتى وجدت بعضها عيانا) بعد البحث والمطالعة (فقمت معلناً به إعلانا) وهذه مهمة العلماء قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة وإيضاح سبل النظر وتحصيل مقدمات الاجتهاد وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد فإذا عرضت نازلة أتيت من بابها ونشدت في مظانها والله يفتح في صوابها[2].

ولا أقول إنها فتاوي ... بل إنها نقل رآه الراوي
إذ تحرم الفتوى بغير الأقوى ... ولم يجز تجاسر في الفتوى
وكل عالم بذاك عرفا ... عن القضاء والفتاوى صرفا

(ولا أقول إنها فتاوي) اسم مصدر بمعنى الإفتاء. يقال أفتاه في الأمر أبانه له وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها أفتاني إفتاء والفتيا تبيين المشكل من الأحكام أصله من الفتى وهو الشاب الحدث الذي شب وقوي، وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً. وفي الاصطلاح: الإفتاء الإخبار عن حكم شرعي لا على وجه الإلزام. قيل ولا حاجة إلى القيد الأخير لأنه ذكر للاحتراز عن القضاء وهو لم يدخل في الحد.

وعرفوا الفتوى بأنه علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم. والفتوى تطلق على الحكم الذي وقع الإفتاء فيه فيقال فتوى مشهورة أو ضعيفة[3].

(بل إنها نقل رآه الراوي) يقال: نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه وإن لم تزل شيئاً عن موضعه[4]. وقد يراد بالنقل عن المتقدمين ما نسب إليهم

---

(١) محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ص:١٠١.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٣٣).
(٣) الطاهر العموري: تقديم وجمع وتحقيق فتاوى المازري ص٦٣ ـ ٦٤.
(٤) انظر: شرح العبادي على المحلى على الورقات المطبوع بهامش إرشاد الفحول للشوكاني، ص: ١٣٠.